

مفهوم الاتصال بين تفسير المقاربة التطورية والمقاربة الصراعية

The concept of the link between the interpretation of the evolutionary approach and the conflict approach

د. نادية أمينة كاري¹ - أستاذة محاضرة (أ)
د. بن عمر عواج² - أستاذ محاضر أ

جامعة تلمسان-الجزائر. جامعة تلمسان - الجزائر.

ملخص: يعد موضوع الاتصال من بين المواضيع التي تحظى بالأهمية البالغة في ميادين شتى من بينها: العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية؛ كما تعددت المداخل النظرية في تفسيره، بحيث سيتم الاقتصار في هذه الورقة العلمية على مدخلين أساسيين هما: المدخل التطوري الذي يركز في تفسيره لموضوع الاتصال على العامل التاريخي، والمدخل الصراعية الذي يركز هو الآخر على وظائف الاتصال في تفسيره لهذا الأخير.

الكلمات المفتاحية: الاتصال؛ التطور؛ الصراع؛ المقاربات النظرية؛ مقاربات العلوم الاجتماعية.

Abstract: Communication is one of the most important issues in various fields, including social sciences and political science. It is also dealt with from different theoretical approaches aiming for its interpretation. This paper deals with two of these approaches: the first is the Evolutionary Approach, which focuses on the historical factor in its interpretation of communication, and the second is the Conflict Approach, which focuses on the functional side of communication.

Keywords: Connection; evolution; Conflict; Theoretical approaches; Social science approaches.

المقدمة:

يلعب موضوع "الاتصال" دورا هاما في غاية الأهمية في عملية البحث العلمي، فهذا الأخير يعني التقصي المنظم باتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد

¹ - البريد الإلكتروني: nadiaamina.kari@univ-tlemcen.dz

² - البريد الإلكتروني: benamar.aouedj@univ-tlemcen.dz

التأكد من صحتها أو تعديلها وإضافة الجديد لها (عوايدي، 1987، صفحة 13)، فإذا كان البحث العلمي من المعايير الأساسية والرئيسية للحكم على مدى تقدم البلد أو تخلفه من خلال اعتباره المحرك الأساسي لآلة التنمية، فإن المنهجية تعتبر العمود الفقري للبحث العلمي ذاته (جندلي، 2005، صفحة 05).

ومن ذلك، فإن هذه الدراسة الخاصة بموضوع "الاتصال" تتضمن لمحات مختصرة ومبسطة، وهي عبارة عن مدخل مفاهيمي وتأسيس مناهجي وبناء نظري لموضوع الاتصال الذي يعد من الموضوعات الواسعة والمعقدة في ميدان الدراسات الإعلامية والسياسية والاجتماعية... الخ؛ من خلال التركيز على مقاربتين ضمن المقاربات الاجتماعية وهما: المقاربة التطورية والمقاربة الصراعية.

من ذلك، يمكن طرح التساؤل التالي: كيف يتم تفسير الاتصال من وجهة نظر مقاربتى التطور والصراع؟

وتأسيساً على ما سبق وللإجابة على التساؤل المطروح أعلاه، قُسمت هذه الدراسة إلى محورين أساسيين وهما على النحو الآتي:

المحور الأول: "الاتصال مدخل إيتيمولوجي- مفاهيمي":

يعدّ الاتصال قديماً قدم وجود الإنسان، حيث يعتبر أحد أبرز العناصر الأساسية في التفاعل الإنساني، والواقع الذي ينبغي التركيز عليه وإدراكه أنه لولا الاتصال لما نمت العديد من المجتمعات من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية، ومع تطور المدينة والدولة تطورت أساليب الاتصال وفنونه وعلومه، وبرزت معالم الاتصال وثماره في العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين الأفراد والمنظمات على حد سواء (العلاق، 2010، صفحة 13).

أولاً: مفهوم الاتصال:

1. التعريف اللغوي والإيتيمولوجي لمصطلح الاتصال:

يعود أصل كلمة Communication في اللغات الأوروبية- والتي اقتبست أو ترجمت إلى اللغات الأخرى وشاعت في العالم- إلى جذور الكلمة اللاتينية Communis التي تعني "الشيء المشترك"، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة Commune التي كانت تعني في القرنين العاشر والحادي عشر "الجماعة المدنية" بعد انتزاع الحق في الإدارة الذاتية للجماعات في كل من فرنسا وإيطاليا، قبل أن تكتسب الكلمة المغزى السياسي والأيدولوجي فيما عرف بـ "كومونة باريس" في القرن الثامن عشر؛ أما الفعل اللاتيني لجذر الكلمة Communicare فمعناه "يذيع أو يشيع" ومن هذا الفعل اشتق من اللاتينية والفرنسية نعتب Communique الذي يعني "بلاغ رسمي" أو بيان أو توضيح حكومي.

ويمكن وصف الاتصال بأنه سر استمرار الحياة على الأرض وتطورها، بل أن بعض الباحثين يرى "أن الاتصال هو الحياة نفسها"، وعلى الرغم من أن الجنس البشرى لا ينفرد

وحده بهذه الظاهرة، حيث توجد أنواع عديدة من الاتصال بين الكائنات الحية، بيد أن الاتصال بين البشر شهد تنوعاً في أساليبه، وتطوراً مذهلاً خاصة في المراحل التاريخية المتأخرة (الموسوي، د.س.ن، صفحة 02).

يعرّف قاموس أكسفورد الاتصال بأنه يعني: نقل وتوصيل، وتبادل الأفكار والمعلومات (بالكلام) وبالكثافة أو بالإشارات، بحيث يتم تبادل المعلومات والأفكار بين مرسل ومستقبل أو مرسل ومستقبلين. بالإضافة إلى أنه يعني المشاركة في الرأي واتخاذ القرار والاشتراك في تبادل المعلومات والمشاعر والاتجاهات وهذا يعني أن الاتصال يمثل عملية تفاعل أخرى تهدف إلى تقوية الصلات الاجتماعية عن طريق تبادل الأفكار والمشاعر والمعلومات والتخاطب أو التباغض (محمد، 2009، صفحة 11).

ومع تعدد التعريفات التي وضعت من قبل الباحثين لمفهوم الاتصال (Communication) فيمكن أن نعتمد تعريفاً مبسطاً وشاملاً للاتصال هو: "انتقال وتبادل المعلومات التي تتم بين الأفراد من خلال تعاملاتهم وتفاعلاتهم المشتركة بما يؤثر على مدركاتهم واستجاباتهم السلوكية" (الحجازي، 2004، صفحة 12).

2. مكونات عملية الاتصال:

إن النظر إلى الاتصال كعملية يعني أنه لا ينتهي بمجرد أن تصل الرسالة من المصدر (المرسل) إلى المتلقي (المستقبل)، كما يعني أن هناك العديد من العوامل الوسيطة بين الرسالة والمتلقي بما يحدد تأثير الاتصال، من جهة أخرى فإن كلا من المرسل والمتلقي يتحدث عن موضوع معين أو موضوعات معينة فيما يعرف بالرسالة أو الرسائل، ويعكس هذا الحديث ليس فقط مدى معرفة كل منهما بالموضوع أو الرسالة، ولكن أيضاً يتأثر بما لديه من قيم ومعتقدات وكذلك بانتماءاته الاجتماعية والثقافية بما يثير لديه ردود فعل معينة تجاه ما يتلقاه من معلومات وآراء وبما يحدد أيضاً مدى تأثره بهذه المعلومات والآراء (جابر، 2013، صفحة 15).

في هذا الإطار المركز تطورت النماذج التي تشرح وتفسر عملية الاتصال بعناصرها المختلفة، حيث ظهر في البداية "النموذج الخطي" أو "المباشر" الذي يرى أن تلك العناصر هي مجرد: "المرسل" و"الرسالة" و"المستقبل"، ولكن الدراسات التي أجريت منذ الأربعينيات بينت مدى قصور ذلك النموذج، وحطمت النظرية القائلة بأن لوسائل الإعلام تأثيراً مباشراً على الجمهور؛ فلقد ظهرت العديد من النماذج والتي تطورت من الطبيعة الثنائية إلى الطبيعة الدائرية والتي على ضوئها تتكون عملية الاتصال من ستة عناصر أساسية وهي:

أ. المصدر SOURCE: يقصد به منشأ الرسالة، وقد يكون فرداً أو مجموعة من الأفراد وقد يكون مؤسسة أو شركة، وكثيراً ما يستخدم المصدر بمعنى القائم بالاتصال، غير أن ما يجدر التنويه إليه هنا أن المصدر ليس بالضرورة هو القائم بالاتصال، مثال: مندوب التلفزيون قد يحصل على خبر معين من موقع الأحداث ثم يتولى المحرر

صياغته وتحريره، ويقدمه قارئ النشرة إلى الجمهور، وفي هذه الحالة توجد بعض دراسات الاتصال تذهب إلى أن كل من المندوب والمحرر وقارئ النشرة بمثابة قائم بالاتصال وإن اختلف الدور؛ بينما يذهب البعض الآخر من الدراسات إلى أن القائم بالاتصال هو قارئ النشرة فقط، أي أنه بينما يوسع البعض مفهوم القائم بالاتصال ليشمل كل من يشارك في الرسالة بصورة أو بأخرى، فإن البعض الآخر يضيق المفهوم قاصرا إياه على من يقوم بالدور الواضح للمتلقى (جابري، 2013، الصفحات 15-16).

ب. الرسالة MESSAGE: مجموعة الأفكار أو المفاهيم أو المهارات أو المبادئ أو القيم أو الاتجاهات التي يرغب المرسل في توجيهها لمن هم في حاجة إليها من الأفراد أو الجماعات لاشتراكهم فيها (محمد، 2009، صفحة 15).

ج. الوسيلة أو القناة CHANNEL: هي عبارة عن وسائل يكمن من خلالها أو بواسطتها تدفق المعلومات من المرسل إلى المستلم (العلاق، 2010، صفحة 21).

د. المستقبل: يقصد به في عملية الاتصال هو الشخص أو مجموعة الأشخاص الذي يتلقى أو يستقبل محاولات التأثير الصادرة عن المصدر.

هـ. ردود الأفعال/التغذية العكسية/FEEDBACK: الرجوع هو الإجابة التي يجيب بها المستقبل على الرسالة التي يتلقاها من المصدر وقد يأخذ المرجع نفس الشكل الذي تتخذه الرسالة، وقد يأخذ شكلا مختلفا ... الخ (محمد، 2009، صفحة 15).

ويرى "إسماعيل علي سعد" أن الاتصال لا يعد اتصالا إلا إذا اقترن بالنجاح (سعد، 1990، صفحة 24)، وبالتالي يسهل تحديد العناصر التي تنطوي عليها عملية الاتصال كما أوردها "جاري كرونك" Gary Kronk في مجال الاتصال على النحو التالي (محمد، 2009، صفحة 13):

- أن الاتصال يعتمد على الرموز؛
- سواء أكانت على هيئة كلمات أو غير ذلك؛
- أحدثت بقصد أو بغير قصد؛
- بواسطة مصدر على وعي أو على غير وعي بما يفعل؛
- وتلك الرموز تحدث استجابة لدى المتلقي؛
- بعضها قد يكون ظاهرا أو مخفيا؛
- وبعضها قد يكون مقصودا وبعضها قد يكون غير مقصود؛
- وقد تكون الاستجابات أو قد لا تكون على مستوى عال من الوعي؛
- وقد تكافئ أو قد لا تكافئ قصد المصدر؛
- أو قد تكون في الحقيقة استجابة من الشخص لرمز أحدثه هو لنفسه.

ثانيا: أنواع الاتصال:

لقد تعددت وتنوّعت أنواع الاتصال، وذلك حسب معايير التصنيف المأخوذة، وفي الآتي أبرز الأنواع:

1. أنواع الاتصال من حيث المستويات: يُقسم الاتصال من حيث مستوياته إلى (جابر، 2013، الصفحات 22-25):

أ. الاتصال الذاتي Self-Communication: هو العملية التي تتفاعل وتأخذ مكانها داخل المرء نفسه، فهي عملية شخصية بحتة يتم فيها مخاطبة الإنسان لذاته.

ب. الاتصال بين فردين Communication Between Two Individuals؛

ج. الاتصال الجمعي Collective Communication: هو الذي يتم بين فرد وآخرين، أو مجموعة أفراد قد لا يعرفون بعضهم أو تجمع بينهم خصائص وسمات مشتركة، يلتقون مباشرة مع القائم بالاتصال ويمكن أن نجد هذا النوع في الندوات والمحاضرات مثلاً؛

د. الاتصال عبر الثقافات Cross Cultural Communication؛

هـ. الاتصال العام General Communication؛

و. الاتصال بوسائل الإعلام الجماهيرية (الجماهيري): هو عملية الاتصال التي تتم باستخدام وسائل الإعلام الجماهيرية، يتميز هذا الاتصال بقدرته على توصيل الرسائل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، ولأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، تصلهم الرسالة في اللحظة نفسها وبسرعة مذهلة، ومع المقدرة على خلق رأي عام، وعلى تنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير الموجودة أصلاً، والمقدرة على نقل المعارف والمعلومات والترفيه.

2. أنواع الاتصال من حيث طريقة الأداء: يقسم إلى:

أ. اتصال لفظي: هو الاتصال الذي يتم عن طريق استخدام اللغة المنطوقة والكلمة المكتوبة قصد توصيل فكرة أو معنى مثل: النشرات، التقارير، الخطابات والمحادثات الهاتفية، ويتم غالباً وجه لوجه، ويدخل تحت هذا النوع من الاتصال (الاتصال الثنائي؛ الاتصال داخل الجماعة؛ بين الجماعات؛ الاتصال العام).

ب. اتصال غير لفظي: هو الاتصال الذي لا يعتمد على الكلمة المكتوبة أو المنطوقة، ويشمل تعبيرات الوجه، الإيماءات، الأزياء، الرموز والصور، الرسوم البيانية والخرائط... الخ.

ويقدم "راندال هاريسون" "Randall Harrison" عرضاً لأصناف الإشارات غير اللفظية التي يرى أنها تقع تحت الشرائح الأربعة التالية:

- شفرات الأداء: مثل حركات الجسد، إيماءات الوجه، حركات العيون... الخ؛
- شفرات اصطناعية: كاستخدام الملابس، مستحضرات التجميل.. الخ؛

- **شفرات إعلامية:** تستخدم في الوسائل الإعلامية، كإبراز الصورة بطرق عدة (صورة ملونة، أبيض وأسود، صورة مقربة .. الخ)؛

- **شفرات ظرفية:** تنبثق الاشارات غير اللفظية من خلال استخدام الوقت والمكان ومن خلال ترتيب المتصلين والأشياء حولهم، مثال ذلك أن تترك شخصاً ينتظر وقتاً طويلاً، أو أن تجلس بعيداً عن شخص تعرفه أو تدير له ظهرك، أو ترتيب الزوار حسب أهمية مناصبهم.

ج. اتصال بين اللفظي وغير اللفظي: يرى العديد من الباحثين أن كل من الاتصال اللفظي وغير اللفظي يجب النظر إليهما كوحدة غير قابلة للانفصال، وهذا النوع من الاتصال يمكن تحقيقه من خلال التداخل بين نوعي الاتصال السابقين.

3. أنواع الاتصال من حيث مباشرته: يقسم إلى (شريط، 2009، صفحة 55):

أ. اتصال مباشر: هو الذي يتم مباشرة بين الأفراد دون الاستعانة بأداة من الأدوات التي تسهل عملية الاتصال مثل الهاتف، ويتيح هذا الشكل من الاتصال فرصة لتبادل المعلومات في الاتجاهات بين المرسل والمستقبل.

ب. اتصال غير مباشر: تستخدم فيه أداة من أدوات الاتصال بين المرسل والمستقبل كالإذاعة والتلفزيون .. الخ

4. أنواع الاتصال من حيث محدوديته: يقسم إلى (نورة، 2012، صفحة 47):

أ. اتصال محدود: هو الذي يتم مع عدد غير محدود من المرسل إليهم والموجودون في مكان واحد، كما يحدث ذلك عندما يتناقش مشرف أو خبير مع أعضاء جماعة معينة في بعض مشاكلها على سبيل المثال.

ب. اتصال غير محدود: هو الذي يتم مع عدد غير محدود من المرسل إليهم الموجودون في أكثر من مكان، والذين يتلقون نفس الرسالة في وقت واحد، كما يحدث عند الاستماع لبرنامج إذاعي أو مشاهدة برنامج تلفزيوني أو قراءة جريدة ... الخ

5. أنواع الاتصال من حيث رسميته: ينقسم إلى رسمي وغير رسمي (بو عطيط، 2009، صفحة 48):

أ. اتصال رسمي: هو الذي يتم بين المستويات الإدارية المختلفة في هيئة أو مؤسسة بالطرق الرسمية المتفق عليها في نظامها وتقاليدها.

ب. اتصال غير رسمي: هو الذي يتم فيه التفاعل بطريقة غير رسمية بين العاملين بتبادل المعلومات والأفكار أو وجهات النظر في الموضوعات التي تهمهم وتتصل بعملهم، أو بتبادل المعلومات خارج منافذ الاتصال الرسمية أو بعيداً عن الخطوط التي تحددها السلطة الرسمية خلال السلم الهرمي المتدرج للتنظيم مثل اللقاءات غير الرسمية في بعض المناسبات.

6. أنواع الاتصال من حيث طبيعته: يقسم إلى:

أ. اتصال إعلامي: يهدف إلى تعريف الأفراد بالمشكلات الأساسية التي تواجه المجتمع، والدور الذي يمكن أن يقوموا به كأفراد أو كجماعات للتغلب على هذه المشكلات.

ب. اتصال اجتماعي: يتم فيه تبادل الفهم بين البشر أو هو العمل الذي ينتقل عن طريقه المعنى من فرد لآخر أو من جماعة لأخرى.

ج. اتصال تأثيري أو إقناعي: هو الذي يحاول إثارة اهتمام الأفراد بالسلوك الواجب اتباعه وإقناعهم بممارسته أو سلوك اتجاه معين، مثلما ما يحدث في الحملات الانتخابية على سبيل المثال.

د. اتصال ثقافي: هو الذي يتم بتفاعل البيئة الثقافية في شكل عمليات اجتماعية متنوعة فيها المعلومات والمؤثرات والمنظمات، وتلعب الجماعات أدوارها في مواجهة هذه المعلومات ووسائل الاتصال الجماهيري وغيرها.

7. أنواع الاتصال من حيث اتجاهه: يقسم إلى (مبني، 2009، صفحة 59):

أ. الاتصال الهابط (من أعلى إلى أسفل): يتم بين الإدارة العليا وأعضاء الإدارة الوسطى وأعضاء أو عمال مستوى التنفيذ ويأخذ هذا الاتصال شكل تعليمات وأوامر وتوجيهات وقرارات وسياسات تصدرها الهيئة الإدارية العليا بغرض تنظيم وتوجيه الأعمال.

ب. الاتصال الصاعد (من أسفل إلى أعلى): هو الذي تبدأ فيه عملية التفاعل بين المرؤوسين لتنتقل إلى المستويات الإدارية العليا ويأخذ هذا الاتصال شكل التقارير، الاقتراحات، أو الشكاوي إلى رؤسائهم.

ج. اتصال صاعد هابط: يكون فيه التفاعل في اتجاهين.

د. اتصال أفقي: هو الذي يتم بين الوحدات التنظيمية المتكافئة في التدرج الهرمي في المنظمة أو المؤسسة.

هـ. اتصال ذو اتجاه واحد: يكون فيه الاتجاه من المرسل إلى المستقبل فقط دون أن يكون هناك رجوع للصدى، كبعض البرامج الإذاعية الموجهة لجمهور المتلقين.

و. اتصال ذو اتجاهين: اتصال يتم بين المرسل والمستقبل مباشرة ويحدث التفاعل والمناقشة بينهما، كالمدرس في قاعة الدرس مع التلاميذ.

المحور الثاني: "المناهج الاجتماعية في دراسة الاتصال":

أولاً: المقاربة التطورية في تفسير الاتصال:

هو أحد المداخل النظرية التي يمكن الاعتماد عليها في فهم الاتصال والإعلام في علاقتهما بالمجتمع بحيث يمكن من خلال هذا المدخل تفسير كيف تطوّر المفهوم الخاص بالاتصال والإعلام تاريخيا داخل سياقاته المجتمعية، بحيث يمكن أن تقدّم تفسيراً علمياً بكيفية تطور استخدام مواد عملية الاتصال الرئيسية في علاقتها بطبيعة وخصائص المراحل التاريخية التي مرّ بها المجتمع الانساني بالملامح والخصائص التي ميزته منذ المرحلة الميدانية ومرورا بالعصر القديم، ثم العصور الوسطى، عصر النهضة، فالعصر الحديث حيث كان التطور الهائل في مجالات الاتصال والإعلام ووسائله وقد جاءت مرتبطة بالتطور المتلاحق الذي شهده المجتمع الإنساني منذ قيام الثورة الصناعية الأولى مما صاحبها من اكتشافات علمية واختراعات تكنولوجية خدمها اكتشاف خامات وطاقات جديدة لم تكن معروفة من قبل، وأيضا بما صاحب الثورة الصناعية التامة منها منتصف القرن العشرين، -ثورة المعلومات والاتصالات- من تطور هائل في بناء النظريات العلمية، وأيضا من تطور تكنولوجي أدى إلى ثورة في مجال الاتصال والإعلام وتتصف بأنها ثورة أوتومية -آلية- صاحبها تطور هائل على خصائص المجتمع الانساني ونظمه وعاداته وتقاليده وقسياه وثقافته، وهو المجتمع الذي أطلق عليه "مجتمع المعلومات والمجتمع التكنولوجي" في عصر جديد أطلق عليه بعصر العولمة.

واضع أساس المذهب التطوري في القرن العشرين هو المفكر "تشارلز روبرت داروين" "Charles Robert Darwin" "1882-1809": هذا المذهب كان له تأثير أساسي في التوجهات النظرية لعلم الاجتماع؛ وظهر ما أطلق عليه بالداروينية الاجتماعية "Social Darwinism"؛ بحيث سادت نظريتها العضوية والتطورية (داروين، 2018) في كل نظريات تلك الحقبة النظرة تفاؤلية مفرطة في تحقيق التقدم الإنساني، حيث توصف الداروينية الاجتماعية التطورية الفكر التطوري بالنقدي العضوية الذي جاء به "أوجست كونت" "Auguste Comte" من خلال القانون العام عن التقدم الإنساني والذي أسسه على أسس تقدم وتطور العقل البشري من المرحلة الغيبية إلى المرحلة الفلسفية إلى المرحلة الوضعية المدنية، التي يعيشها المجتمع الإنساني بحيث يمكن القول أن "أوجست كونت" رأى أن حركة المجتمع الإنساني تخضع بالضرورة لحتمية القوانين الفيزيائية التي لا تتغير بدلا من أن يحكمها نوع من الإرادة على تغيير النظم الاجتماعية وإعادة تنظيمها وفقا لأرادته العاقلة -وهو موقف يتشابه مع فكر فلاسفة عصر التنوير-؛ وقد تمخضت هذه النزعة عن فكر "أوجست كونت" إلى أن مهمة علم الاجتماع أصبحت مرتبطة بالكشف عن القوانين التطورية الحاكمة للحياة الاجتماعية اعتمادا على فكر تطوري تقدمي ذو صبغة عقلية ومجتمع علمي.

إذا، ما يمكن القول هو أن النزعة التطورية التقدمية التي سادت فكر "أوجست كونت" والتي ترى أن المجتمع الانساني في تطوره يحكمه القانون العام المتقدم ذي المراحل الثلاث من المراحل الأقل تقدمت إلى المراحل الأكثر تقدما بصورة حتمية؛ من هنا يمكن القول الآتي (حامد، 2012، الصفحات 70-72):

- إنَّ التطور في اتجاه التقدم الذي لحق بالمواد الرئيسية التي تشكل محتوى ومضمون عملية الاتصال وحتى الإعلام والمجالات الجديدة التي تطرقت إليها عملياته -التطور من منظور "أوجست كونت".
- الوسائل التي اعتمدت عليها تلك العمليات الاتصالية الاعلامية قد تحددت ملامحها في ضوء ملامح تلك النزعة التطورية التقدمية، باعتبار أنها مراحل تقدم حتمية حكمها قانون التقدم العام ذل المراحل الثلاث.
- يقسم "أوجست كونت" مهمة علم الاجتماع في هذه المرحلة داخل إطار قانون التقدم العام إلى قسمين (حامد، 2012، الصفحات 72-73):
- 1. **قانون الاستاتيكا:** يقصد به النظام العام الذي يحقق الاتساق العام في كل نواحي المجتمع حتى يسود التضامن الاجتماعي وتقسيم العمل داخل إطار البناء الاجتماعي، والذي يضم مستويات ثلاثة هي الفرد والأسرة والاتحادات الاجتماعية والطبقات والنظم السياسية والدولية.
- 2. **قانون الديناميكا:** -من خلال هذا القانون دون الأول يمكن تفسير عملية الاتصال ووظائفها- من خلال ثلاثة مستويات تتم من خلالها عمليات التطور في اتجاه التقدم، وعوامل التقدم ثم المراحل التي تتم من خلالها هذه العملية. وعوامل التقدم قد تكون فيزيقية أو أخلاقية، أو فكرية أو اجتماعية، وهي كلها عوامل تعمل داخل إطار القانون ذي المراحل الثلاثة.

أما المفكر "هربرت سبنسر" "Herbert Spencer" (1820-1903) الذي عاصر "أوجست كونت" قد تبنى أفكاره عن التطور، ولقد ساهم في تطور مضمون الفكر التطوري ولكن مع صبغ النزعة التطورية في اتجاه التقدم وليس بصبغة عقلية كما قال "كونت" ولكن بصيغة بيولوجية وهي النظرية التي طوّر من خلالها "قانون الاستاتيكا" وماثل بين التصميمات المتعلقة بحياة الكائنات العضوية وحياة المجتمعات الانسانية باعتبار أن ذلك يمثل خطوة أولى ومبدأ عام للتطور (حمداوي، 2015، الصفحات 89-91)، من هنا يمكن القول أن هذا المفكر بفكرته حول النزعة التطورية البيولوجية تصلح لأن يعتمد عليها كأساس لتفسير مسلك الكائنات البشرية، والذي يأخذ شكل الاتصال الذاتي أو البيولوجي المعتمد على الأفكار الذاتية والعمليات والوظائف البيولوجية التي تتم داخل كيانه ككائن بيولوجي عضوي وبالتالي يحكم إطار علاقاته الاتصالية مع الآخرين داخل الإطار الاجتماعي (العياصرة، 2019).

من خلال ما سبق، يتم استخلاص أن النموذج التطوري يتضمن الافتراضات التالية (Ball-Rokeach, 1982, pp. 15-19):

- النظر إلى المجتمع باعتباره مجموعة من الأجزاء المترابطة.
- يتعرض المجتمع باستمرار للتغير. -حيث تصبح أشكاله الاجتماعية مختلفة ومتميزة-

- يتم نقل الأشكال الاجتماعية الجديدة من مجتمعات أخرى عن طريق الأفراد الذي يبحثون عن وسائل أكثر فعالية واتصالا لتحقيق الأهداف التي يرونها مهمة.
- تحظى الأشكال الاجتماعية الجديدة التي تساعد الناس على تحقيق أهدافهم ولا تتعارض مع القيم الموجودة بالقول، وتصبح أجزاء ثابتة من المجتمع المتطور وعلى العكس من ذلك، يتم نبذ الأشكال الأقل فعالية والتخلي عنها. - بمعنى مفهوم الاتصال الإيجابي-

وتأسيسا على ما سبق، يعتبر النموذج التطوري تفسيراً لحالة التغير التي تحدث في المجتمع، حيث أن الاستقرار والتوازن ليس هو الصورة الدائمة التي يلاحظها المراقبون لكل المجتمعات، وهذه الأخيرة كلها تشهد تغيراً وتطوراً بفضل القوانين الثابتة للتطور الاجتماعي، التي تقود المجتمع نحو الأفضل (بمفهوم التقدم، وهو ذو معنى إيجابي)، مثلها مثل الكائن العضوي، بمعنى: الأساس في النموذج التطوري هو عدم التدخل لإحداث التغيير، وأن يترك ذلك لآليات التغير الاجتماعي التي تعمل بتأثير نشاط الأفراد واختراعاتهم والبحث عن الوسائل الجديدة، سواء داخل المجتمع أو خارجه، وهذا بدوره ما سيؤدي إلى تحقيق الأهداف الاجتماعية نحو التطور إلى الأفضل.

من هنا، تتجلى أهمية الافتراضات السابقة عندما يبحث هذا المنهج في تاريخ الاتصال ووسائل الإعلام، فخلال التاريخ أدرك الكثير من البشر الحاجة إلى أنظمة اتصال أسرع، يكون بوسعها الوصول إلى أكبر عدد من المستقبلين أو المتلقين، وهذا يعني أن النمو الإعلامي قد مثل باستمرار عملية تطويرية سواء كان ذلك من ناحية التكنولوجيا العملية الطبيعية الأتومية (الآلية) أم من ناحية الأشكال الاجتماعية الضرورية لتحقيق استفادة مجتمعية ملموسة من هذه التكنولوجيا في اتجاه تحقيق الأهداف الهامة والاستراتيجية المرتبطة بميكانيزمات القرار على المستوى القومي (حمداوي، 2015، الصفحات 93-95).

ثانياً: المقاربة الصراعية في تفسير الاتصال:

- على عكس المدخل السابق-، يتبنى أنصار هذا المدخل نموذج الصراع على أنه هو الأساس في تفسير التغير في المجتمع، وأنه إذا كانت العناصر والأنشطة هي أساس الاستقرار، فإن الصراع بينهما هو العملية الرئيسية في المجتمع وإن التغير في المجتمع هو نتيجة الصراع، وليس نتيجة التطور أو الارتقاء الطبيعي الذي يحدث بفضل آليات التغير الاجتماعي كما ينادي أصحاب النموذج التطوري؛ وتقوم الفكرة على أساس أن المجتمع يتكون من عناصر اجتماعية متصارعة، وأن الصراع كصورة من صور التفاعل بين العناصر المتصارعة هو الذي ينتج عنه التغير أو التطوير، وهذا مثال لتفكير الفلاسفة القدماء في حدوث التغير نتيجة للقوى المتعارضة أو المتضادة، وفي إطار المفاهيم الفلسفية مثل: الخير والشر، الحقيقة والزائف، وهو ما أطلق عليه فيما بعد العملية الجدلية أو الديالكتيكية Dialectic Process التي اتخذت أساساً للأفكار الخاصة بالصراع وعلاقته بالتغيير الاجتماعي في كتابا هيجل وإنجلز وماركس (مي، 2006، صفحة 177).

ركزت كتابات "هيجل" و"ماركس" و"إنجلز" على تجميع أفكار الصراع الاجتماعي والعملية الجدلية ووضعها في صورة تحليل للتغيير الاجتماعي أو علاقات الاتصال بين القوى المجتمعية.

وينظر علماء الاجتماع المعاصرون بوجه عان إلى "كارل ماركس" باعتباره الأب لنموذج الصراع في المجتمع والتغيير الاجتماعي، والواقع أن النظريات الاجتماعية والسياسية التي طرحها ماركس تقدم تحليلاً للطريقة التي تتكون بها المجتمعات الجديدة بافتراض أنها تنشأ من الصراعات بين من يملكون ومن لا يملكون، ولكن المرء لا يتعين عليه بالضرورة اعتناق الأيديولوجيات الماركسية لكي يقبل فكرة أن الصراع الاجتماعي يمكن أن يكون سبباً هاماً للتغيير الاجتماعي (حمداوي، 2015، الصفحات 99-100).

ويركز نموذج الصراع الاجتماعي على الافتراضات الأساسية التالية (حامد، 2012، الصفحات 106-112):

- يتكون المجتمع من فئات وجماعات من البشر تختلف مصالحها بشدة؛
- تحاول كل جماعة داخل المجتمع تحقيق مصالحها الخاصة في إطار المنافسة مع الآخرين، وبالتالي تقاوم الجهود التنافسية للآخرين؛
- يتعرض المجتمع المنظم بهذه الطريقة لصراع مستمر، حيث تحاول العناصر المكونة له تحقيق مكاسب جديدة أو الحفاظ على مكاسبها، وبالتالي يظل الصراع موجوداً في كل زمان ومكان؛
- تحدث عملية التغيير المستمرة من ثنايا العملية الجدلية للمصالح المتنافسة والمتصارعة، وهكذا فإن المجتمعات ليست في حالة توازن وإنما هي في حالة صراع وتغير مستمر.

وبتطبيق هذه الافتراضات على وسائل الاتصال والإعلام يتم ملاحظة أنها في المجتمعات الحرة عبارة عن مشروعات متنافسة تركز جهودها لتحقيق أرباح وتسعى كل وسيلة اتصالية وإعلامية لتحقيق مصالحها وسط شبكة من القيود التشريعية والأخلاقية والقيمية.

وكمثال على ذلك، فإن هناك تاريخاً طويلاً من العداء والخصومة بين الصحافة والحكومة، وهناك مناطق أخرى للصراع مثل الجدل حول حقوق وسائل الإعلام في مواجهة حق احترام خصوصية المواطنين، وحق وسائل الإعلام في حماية أسرارها خاصة في أوقات الطوارئ والأزمات، وحق المواطنين في المحاكمة العادلة، وحق المستهلكين في الحماية من الادعاءات الكاذبة في بعض الإعلانات، ومن خلال المعارك والصراعات القانونية حول هذه القضايا وغيرها، تتغير وسائل وأساليب الاتصال بشكل مستمر هكذا يقدم نموذج الصراع الاجتماعي تصوراً مفيداً لدراسة القضايا الهامة المتعلقة بالنظم الإعلامية والاتصالية (محمد، 2009، صفحة 89).

الخاتمة:

في الختام، يمكن القول على أن موضوع الاتصال من بين المواضيع التي تحظى بالأهمية البالغة في حقول معرفية شتى ك: علم الاجتماع، علم الاقتصاد، علم السياسة ... وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى.

في حين أنه يمكن الإشارة أيضا إلى أن موضوع الاتصال قد تعددت المداخل والمقاربات النظرية التي تفسره ك المداخل الاجتماعية، المداخل النفسية، المدخل السلوكي وغيرها؛ وعليه، فتم التركيز في هذه الدراسة على المقاربات الاجتماعية المتمثلة حصرا في مقارنة التطور ومقاربة الصراع؛ حيث أن المقاربة التطورية تنظر إلى أن البشر بحاجة ماسة للاتصال وإلى أنظمة اتصال أسرع؛ أما المقاربة الصراعية فتتظر إلى المجتمعات البشرية على أنها عبارة عن مشروعات متنافسة تركز جهودها لتحقيق المصلحة والربح، وتسعى كل وسيلة اتصالية وإعلامية لتحقيق ذلك وسط شبكة من القيود التشريعية والأخلاقية والقيمية.

قائمة المبيولوجرافيا:

1. Ball-Rokeach, M. D. (1982). *Theories of Mass Communications*. Longman: New York and London.
2. أبو شنب جمال محمد. (2009). *نظريات الاتصال والإعلام المفاهيم المداخل النظرية القضايا*. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
3. إسماعيل علي سعد. (1990). *الاتصال والرأي العام*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
4. العبد الله مي. (2006). *نظريات الاتصال*. بيروت: دار النهضة العربية.
5. بشير العلاق. (2010). *نظريات الاتصال مدخل متكامل*. الأردن: دار البازوري العلمية النشر والتوزيع.
6. بوعيط، ج. أ. (2009). *الاتصال التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي*. مذكره ماجستير غير منشورة. قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر.
7. تشارلز داروين. (2018). *أصل الأنواع*. (إسماعيل مظهر، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداوي.
8. جميل حمداوي. (2015). *أسس علم الاجتماع*. مصر: شبكة الألوكة.
9. جندلي، ع. أ. (2005). *تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية*. الجزائر: دار المطبوعات الجامعية.
10. خالد حامد. (2012). *مدخل إلى علم الاجتماع (الإصدار 2)*. الجزائر: جسر للنشر والتوزيع.
11. رضوان بلخير و سارة جابري. (2013). *مدخل للاتصال والعلاقات العامة*. الجزائر: دار جسر للنشر والتوزيع.
12. رفاح العياصرة. (30 سبتمبر، 2019). *العربي*. تاريخ الاسترداد 02 أكتوبر، 2019، من <https://cutt.us/rfVNd>
13. شريط، م. ش. (2009). *الاتصال التنظيمي وعلاقته بالولاء التنظيمي*. مذكره ماجستير غير منشورة. قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم علم النفس والعلوم التربوية والأرطوفونيا.
14. عمار عوايدي. (1987). *مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في مجال العلوم القانونية والإدارية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

15. ميني، ن. (2009). الاتصال التسويقي في المؤسسة الجزائرية. مأكرة ماجستير غير منشورة. قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية : الجزائر.
16. محمد جاسم فلحي الموسوي. (د.س.ن). نظريات الاتصال والإعلام الجماهيري. الدنمارك: الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.
17. محمد حافظ الحجازي. (2004). وسائط الاتصال الرسمي البيروقراطية الكمبيوترية. الاسكندرية: المعهد العالي للسياحة والفنادق الحاسب العالي.
18. نورة، ش. (2012). الاتصال والعلاقات الاجتماعية المهنية في المنظمات الإستشفائية. مأكرة ماجستير غير منشورة. معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.